ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Islamic poetry and its role in sustaining moral values (Sabeq Al-Barbari poetry as a model)

Dr. Wassan Sadiq Abbas

University of Wasit - College of Education for Humanities

Email: walbadrawy@uowasit.edu.iq

Keywords:

Islamic poetry, Sustainability, Moral values, Sabiq al-Barbari

Article info

Article history:

Received 15.Febr.2025

Accepted 25.Mar.2025

Published 28.Aug.2025

A B S T R A C T

The discourses of a class of poets produced by the Islamic system with its principles, values and moral foundations were intertwined with those data, so that the theories of that group were unique within their organized production with a series of moral citations articulated with the texts of that belief, and what the latter carried of patterns and principles that elevate the intellectual and moral concept of the being for itself to higher ranks within the divine perspective. When the faculties of the creative model are stripped of their dealings with phenomena and the sensory and material connections of objective reality, in an effort to preserve its components and moral values, then those literary and poetic secretions - laden with signs of authentic moral reference between the self and the other - will establish a starting point that evokes the principles of sustainability for those values, and maintains their continuity within its circulated poetic texts. Those poetic experiences filled with their transcendent value systems became elevated to the ranks of influential spiritual incentives and motivations in a decisive manner in their recipients, as the mechanisms of sustainability and stability Extending across time and space in its creative spoken form, it has been expressed by a group of poets who dedicated their poetry to evoking those moral ideals within the Islamic community, including the ascetic poet (Sabiq Al-Barbari), whose rhymes possessed a distinct and unique character in establishing the foundations of authentic Islamic values and sustaining them in the memory of the recipient. Therefore, this research will reveal the creative output of this poet and the extent of his contribution to establishing and sustaining the moral bonds approved by the sacred Sharia.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol60.Iss3.4735

الشعر الاسلامي ودوره في استدامة القيم الاخلاقية (شعر سابق البربري انموذجاً)

أ.م.د. وسن صادق عباس
جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية

ملخص البحث :

تعالقت خطابات طبقة من الشعراء الذين افرزتهم المنظومة الإسلامية بمبادئها وقيمها ومرتكزاتها الأخلاقية مع تلكَ المعطيات، لتتفرد تنظيرات تلك الثلة ضمن نتاجها المنظوم بسلسلة من الاستشهادات المعنوية المتمفصلة مع متون تلك العقيدة، وما حملته الأخيرة من أنماط ومبادئ ترتقي بالمفهوم الفكري والمعنوي للكائن لذاته الى مراتب عليا ضمن المنظور الإلهي، فحينما تتجرد ملكات الانموذج المبدع عن تعاطيها مع الظواهر والروابط الحسية والمادية للواقع الموضوعي ، سعياً منها للحفاظ على مقوماتها وقيمها الأخلاقية، حينها ستؤسس تلك الافرازات الأدبية والشعرية –المحملة ببوادر الإحالة الأخلاقية الاصيلة ما بين الذات والآخر– منطلقاً يستحضر مبادئ الاستدامة لتلك القيم ، ويحافظ على ديمومتها ضمن متونه الشعرية المتداولة ، فاضحت تلك التجارب الشعرية المفعمة بأنساقها القيمية المتعالية ترتقي الى مصافِ المحفزات والدوافع الروحية المؤثرة وبصورة قطعية في متلقيها ، فآليات الاستدامة والثبات الممتدة عبر الزمان والمكان بصيغتها الإبداعية المنطوقة قد جرت على لسان طائفة من الشعراء الذين نذروا شعرهم لاستحضار تلك المثل الأخلاقية ضمن المجتمع الإسلامي ومن بينهم الشاعر الزاهد (سابق البربري) الذي امتلكت قوافيه طابعاً متميزاً وفريداً في إرساء دعائم القيم الإسلامية الاصيلة واستدامتها في ذاكرة المتلقي ، لذا سيكشف هذا البحث النقاب عن النتاج الإبداعي لهذا الشاعر ومدى اسهامه في إرساء واستدامة الروابط الأخلاقية التي اقرتها الشريعة المقدسة .

الكلمات المفتاحية : الشعر الاسلامي ، الاستدامة ، القيم الاخلاقية ، سابق البربري

المقدمة :

تضايفت الأسس المنهجية للقيم الأخلاقية في جانبها التطبيقي مع بداية تشكل الهياكل الإنسانية ، وبداية وعي الكائن العاقل بما يحيط به من منظومة اجتماعية ، تحمل في جنباتها مجموعة من البنى البشرية ذات التركيب الطبقي المتفاوت والتي تختلف تبعاً لمرجعياتها الفكرية والثقافية والدينية ، وفي مجمل تلك التباينات أسس الكائن المفكر وبمعية الأبنية والثوابت التي نزلت بها الرسائل السماوية وانتشرت على يد مبلغيها وادعيائها وعلى اختلاف المتباينات الزمانية والمكانية ، لمجموعة من القيم تهدف الى توحيد مستويات التفاوت الفكري والسلوكي ضمن المجتمع الواحد سواءً في جانبه الموروث او المكتسب ، وقد شكلت تلك المناهج القيمية في جانبها الأخلاقي داعماً قوياً لاستمرارية بقاء وديمومة تلك المجتمعات ، أو الهياكل الإنسانية عبر الزمان، وقد سجلت لنا المعطيات التاريخية بقرائنها وادلتها الموثقة مجموعة الاحداث والوقائع التي افرزت في مجملها التباين الحاصل بين مجتمع وآخر على أساس موحد ، وهو القيم الأخلاقية السائدة التي كانت السبب الرئيسي والجوهري في تدوين صفحات تاريخه الطويل . لتسجل وعبر مراحله المتتابعة طبيعة المستوى القيمي الذي ينتمي له . فكل منطقة مظلمة تمر بها حاضنة انسانية ما هي في واقع الحال سوى كبوة نتجت عن افول في المنظومة القيمية التي تدير النسيج الفكري لأفراد تلك الحاضنة ، وبالنتيجة تسببت في مجرى من الحوادث والوقائع البعيدة عن الطبيعة الإنسانية السوية قبل ان تكون منزاحة عن منظومة القيم الأخلاقية بطابعها النقلي المتزن .

وعليه فان المؤشرات المعيارية الخاصة بكل مجتمع انساني على مر العصور لا تفتأ تتمفصل وبصورة وثيقة بالجانب الأخلاقي لما تمثله هذه القيمة من معين روحي ووجداني رصين ، يرتفع بالنفس العاقلة الى مصافي الكائنات العليا ، ليفرز بالمقابل كل معطى ومؤشر إيجابي يسجل لصالحها ضمن تاريخها المتمرحل .

فالقيمة الأخلاقية هي بالنتيجة خاصية مهمة من خصائص المجتمع الإنساني ، كونها تكتسب أهميتها ووظائفها من طبيعة الوجود العاقل ، فلا وجود للأخير دون قيم ، فهما ظاهرتان متماسكتان اشد التماسك ، وقد مُثلا في تلاصقهما بسطحي الورقة ، فاذا محونا من أي مجتمع انساني قيمه فكأننا في حينها نكون قد سلخنا عنه بشريته **(ماجد الزيود ، ٢٠٠٦ ، ص٢١)** ، وعندها لن يكون ذلك المجتمع او تلك البيئة الحاضنة بمنأى عن لعنات التاريخ ، أو عن سردياته المناوئة لتلك الانحرافات المنبوذة ، فمسؤولية كتابة التاريخ وتذهيب صفحاته تقع على عاتق الوجود الإنساني الذي يمثله هذا المجتمع او ذاك ، وعلى مدى التزامه وتمسكه بالمنظومة القيمية التي عرفت بعلم الاخلاق ، والذي هو بالمحصلة (واحد من العلوم القيمية التي تبحث في التفكير السليم ، أي انه منظومة القيم التي يجب ان يحدد الانسان في ضوئها تصرفاته وسلوكه الذي يعكس اخلاقياته ضمن النظام الاجتماعي) **(محمد الخوالدة ، ٢٠١٣ ، ص٣٠)** ، وفي ضوء المتعالقات التي اشرنا اليها سابقاً تبرز أهمية الجانب العقائدي في ترسيخ وتشذيب أنماط القيم المسؤولة عن قوة الأمم والشعوب وسر تقدمها ، بل وسر بقائها وديمومتها عبر الزمان .

فضمن المنظور الديني تبرز القيم على انها عملية تفضيل تقوم على الاستقامة والاعتدال ، وتنطلق اساساً من مصادر احكام الشريعة الإسلامية ومبادئها ، فتحدد المرغوب فيه حلالاً طيباً وتأمر به ، والمرغوب عنه حراماً خبيثاً وتنهى عنه ، فهي في الأساس دوافع او مثيرات لسلوك الفرد والمجتمع لخلق الشخصية السوية المتكاملة وتنميتها ، وبما يكفل السعادة الحقيقية والابدية لبني الانسان **(احمد طاهر مسعود ، ٢٠١١، ص١٥٤)** .

وحينما نسلط الضوء على لوازم القيم الأخلاقية ومؤشراتها من منظور علمي حديث عرف في أوساط العاملين في مجال الرؤية المستقبلية والتخطيط الاستراتيجي بـ (التنمية المستدامة) ، يستجلي لنا ما لهذا المصطلح العملي من افق واسع وتجليات تخصصية متشعبة ، شملت جوانب مهمة وحيوية في وجود الكائن العاقل سواءً في موجوداته البيئية ، او في مقترباته الاقتصادية ، او الاجتماعية ، أو حتى على مستوى مكنوناته الشخصية الوجدانية وتعالقاتها مع الآخر ضمن المحيط والبيئة الحاضنة لهم ، كونها هي الأخرى ضمن المنظور الاجتماعي من الأصول المعنوية المهمة التي ترتكز عليها صلاته الوجودية المهيئة له سبل العيش القويم والتعايش والديمومة والقوة والمنعة من السقوط والاندثار في مجاهل التاريخ .

فالتنمية المستدامة هي منظومة بأبعاد ثلاث مترابطة ومتكاملة في اطار تفاعلي يتسم بالضبط والتنظيم والترشيد ، ولا يكفي وصف هذه الابعاد بانها مترابطة معاً ، بل لا بد من الإشارة وبقوة الى ان هذه الابعاد (البيئية والاقتصادية والاجتماعية) مترابطة ومتكاملة ومتداخلة ، ويمكن التعامل معها على انها منظومات فرعية للمنظومة الرئيسية .. وقد اجادت ثقافتنا العربية الإسلامية المتمثلة بالعقيدة الإسلامية الرصينة بتدعيم الأصول المعرفية في جانبيها العملي والنظري لنظرية الاستدامة من خلال مخزونها الثقافي والفكري الغزير الذي برع به الكثير من اساطينها واعلامها ، ونكتفي بذكر قول الامام علي (عليه السلام) **{اعمل لدنياكَ كأنكَ تعيشُ أبداً ، وأعمل لآخرتكَ كأنكَ تموتُ غداً} (الحر العاملي ، ١٤١٤هـ ، ص٧٦)** ، فثقافتنا الإسلامية لها السبق في مجال الاستدامة على غيرها من الثقافات كما كان لها السبق في مجالات أخرى عديدة ، ومما لا شك فيه ان تحقيق نوعية جيدة من منظور التنمية المستدامة يتطلب إيجاد وتطبيق اطر أخلاقية تتمثل بعلاقة الفرد بالآخرين ، وعلاقة الانسان عموماً ببيئته **(عثمان محمد غنيم و ماجدة أبو زنط ، ٢٠١٤ ، ص٣٩ و ٩٥)** .

فالعلاقات والاطر التي حددتها التنمية المستدامة لتحقيق نوعية حياة جيدة للبشرية عموماً ليست غريبة على ثقافتنا الإسلامية، فهي مكونات اصيلة في الدين الإسلامي الحنيف، وجوانب مهمة في معتقدات الانسان المسلم لا بد من تطبيقها في جميع جوانب حياته وبصورة اكثر شمولاً وواقعية، فالعلاقات او المعاملات التي يجب ان تحكمها قيم واطر أخلاقية عالية ومحكمة من أجل تحقيق مبدأ الاستقرار والقوة والديمومة في عالم الوجود تشمل (علاقة الانسان بالخالق (جل وعلا)، و (علاقة الانسان بنفسه) ، و (علاقة الانسان بغيره) **(المصدر السابق ، ص٩٦)** .

ومن خلال تأكيد المنظومة الإسلامية عبر تشريعها التوحيدي على المثُل الأخلاقية وضرورة جعل الاخيرة هي المهيمنة والحاكمة على مجمل نظم العلاقات التي تجمع الكائن لذاته مع باقي متعالقاته الوجودية ، برزت ضمن التراث الإسلامي اللغوي والادبي في جانبية الخطابي والمنظوم جملة من النتاجات الثرة التي عكست رصانة وقوة الآصرة القيمية المتمفصلة في وجدان المبدع الإسلامي ، وليس يخفى على المتتبع لتجربة الشعر الإسلامي في هذا المجال من افرازات بيانية متمايزة حملت ضمن علاماتها اللغوية دلالات لجملة من الشعراء الإسلاميين الذين الزموا ملكاتهم مسؤولية ترسيخ القيم الأخلاقية في نفوس القراء المسلمين ولتكون نتاجاتهم الشعرية معيناً مستداماً يحمل في جنباته مهمة الحفاظ على تلك القيم وضمان ايصال خطاب التقريظ بها الى الأجيال الإسلامية اللاحقة حفاضاً عليه ورغبة في دوامهِ واستدامته ضمن الوجدان العربي المسلم ، كونه يمثل البنية الجوهرية التي اقيمت عليها دعائم الدين الإسلامي الحنيف ، والتي اتضحت معالمها عبر خطابات الصادق الأمين (ﷺ) حامل رسالة الإسلام والداعي الى بناء منظومة قيمية وافية تلزم ترسيخ وتفعيل تلك المفاهيم الأخلاقية لضمان بقائها وسيرورتها بشكلها المتكامل في نفوس أصحاب هذا المنهج العقائدي كما في قوله (ﷺ) **{إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِمَ مَكَارِمَ الأَخلاقْ} (المتقي الهندي ، ٢٠٠٥ ، ص٢٩٧)** ، فالقيم الأخلاقية لم تكن فقط هي الوسيلة لتسجيل تبعية الانسان لهويته الاسلامية ، بل كانت ايضاً ولا تزال هي الغاية التي اجاد الباري جل وعلا فيها على خلقه للوصول الى مصافِ الكمال .

فلقد احتوى القرآن الكريم على رسم متكامل لصورة المجتمع الفاضل وذلك بما حواه من سياسة الإصلاح لكل مناحي الحياة ، فهو منهج ابدي يناسب كل الظروف ، غير مخصوص بزمان ولا بمكان .. فالمنهج القرآني يستهدف تنصيب أسس القيم الأخلاقية في السلوك البشري انطلاقاً من مجموعة من القواعد والضوابط التي حددها الإسلام والمتجلية في الأوامر والنواهي المبثوثة في متنه ، والتي تعتبر مصدراً لأحكام الشريعة ولمكارم الاخلاق **(عبد القادر الشايط ، ٢٠٢١ ، ص٤٣٥)** ، فالأخلاق الإسلامية اذن هي ليست رأياً بشرياً ولا نظاماً وضعياً ، وانما هي مستمدة من تشريع واجب الوجود ، فهي بالتالي ربانية المصدر ، وربانية الهدف والغاية والقصد ، غير ان أصول الاخلاق وامهاتها مستمدة من الشرع ، ليلتمس فيها المسلم رضا الله ، وهو ما يجعل من المنهج الأخلاقي الذي تبناه الإسلام وفق الاحكام الربانية هو الاصلح والانسب على الاطلاق ليكون قواماً للسلوك الإنساني **(محمود محمد الخزندار ، ١٩٩٧ ، ص١٩)** .

ومن هذا المنطلق بنى ثلة من الشعراء المسلمين حصيلة نتاجاتهم الأدبية والشعرية على تلك المقولات والضوابط القيمية الرفيعة لتكون منهجاً مستداماً يبث من خلاله مرتسمات المنظور الأمثل الذي يجب ان يتحلى به الفرد المسلم ، فقد واكب النتاج الشعري مراحل الدعوة المحمدية ليستقرئ بملكاته البيانية المقولات الجوهرية التي اجهرتها الفيوض الربانية والزمت التقيد بها والسير في نهجها ، فانطلق هؤلاء الشعراء يتساجلون في الدعوة الى مرموزات تلك القيم بأساليب التقريظ والتمجيد والاشادة ، متبنين المواضعات اللغوية الدالة على مكارم الاخلاق ضمن منظوماتهم الشعرية ، فحق لتلك النتاجات الأدبية ان تكون داعية معتمدة لحفظ التراث الإسلامي في جانبه الأخلاقي والقيمي ، وضمان ديمومته واستدامته ليكون معضداً

للخطاب القرآني والسنة النبوية الشريفة في هذا الجانب ، ومن بين هؤلاء الذاكرين والمستدلين على مظاهر تلك القيم في اشعارهم لتصبح من بعدهم مآلاً للورع والزهد والتقوى هو الشاعر الزاهد (سابق البربري)[*] .

استدامة القيم الأخلاقية في شعر سابق البربري :

يعد تجلي الاتجاه المحايث للمنظور القيمي ضمن المقفى الشعري الذي انبلج ابان انتشار الدعوة المحمدية في القرن الأول الهجري ، ممثلاً بالأساليب الدينية ، من اهم المظاهر الخطابية التي اخذ أصحابها على عاتقهم ترصين واستدامة البنية العقائدية للشريعة السمحاء ، وتقوية اواصرها المعنوية في نفوس العامة من المسلمين ، وبالطبع فان أصول تلك الممارسات الفاضلة بماهياتها الرصينة بدأت مع سيد الخلق وحامل رسالة التوحيد الرسول الأعظم (ﷺ) ، الذي انتخب الركون للجانب الروحي والعقلي منهجاً له ، ملتمساً فيه الانزياح عن كل المظاهر الحسية والمادية المتفشية والمترسبة ضمن الواقع الاجتماعي العام آنذاك ، لما لها من ظلال سلبية ثقيلة تميط بصاحبها عن سبل المناقب والقيم الأخلاقية بواقعها الإسلامي المنضبط ، فالتعاليم والقيم الإسلامية التي بشر بها الرسول الكريم (ﷺ) وعمل على استدامتها ، أحدثت نقلة نوعية في نفوس شعراء الجزيرة ومن سار على نهجهم بعد اتساع رقعة الحاضنة الإسلامية وامتداد اثرها شرقاً وغرباً ، (فكان الإسلام يضيء نفوس معتنقيه بتعاليمه المستدامة ، وتتعمق اشعة هذه التعاليم في قلوبهم ، فتغيرت قيمهم المثالية في الحياة ، وظهر ذلك بيّناً في مدائحهم واهاجيهم ، اذ نرى تلألأ الصفات الدينية في قصائدهم ، وقد زهد فريق في حطام الدنيا فتحول يتبتل الى ربه ، ويناجيه في شعره ، أو يهجو ابليس ويحذر من الوقوع في حبائله) **(شوقي ضيف ، ١٩٥٢ ، ص هـ)** .

إلا ان تلك السردية الملازمة للمنظور العقائدي الإسلامي سرعان ما أخذت ترتخي ويصيبها الوهن والتخاذل بعد تولي بني امية زمام أمور المسلمين ، على الأقل ضمن حاضرتهم الشامية ، ونقلت لنا المصادر التاريخية والأدبية انتشار مظاهر التهتك والمجون في جانبيها السلوكي والمنظوم واتساع رقعة المجاهرين والمنظرين لشيوعه بين افراد المجتمع الإسلامي الى ابعد من حدودها السياسية ، بعد ان تأثرت الحاضنة الإسلامية بما ورد اليها من ثقافات غريبة عنها كانت العلة من ورائها دخول العرب الى مناطق تتعارض في ثقافاتها واعرافها ومنظوماتها الاجتماعية مع قيمها وثوابتها المحلية ، (فاصبح التهتك والعكوف على الملذات شيئاً طبيعياً ومظهراً من مظاهر الحضارة في هذا العصر .. فقد كان يوجد في جميع الحواضر الإسلامية وبلا استثناء جانب يحيا هذه الحياة ، لان تغير المجتمع الإسلامي لم يكن تغيراً اقليمياً محلياً ، بل كان تغيراً واسعاً شاملاً) **(محمد مصطفى هدارة ، ١٩٦٣ ، ص٥٧)** .

ومن هنا انجلت سمات شعرية اقرب الى الوعظ والتعليم والزهد بفحواها ذي المنحى الديني المتعالق بالقرآن والسنة النبوية الشريفة ، ترمي تلك الممارسات الخطابية الى استجلاء واستدامة القيم والثوابت الإسلامية الاصيلة والرجوع لمنابعها الأخلاقية النبيلة ، فبدأ الشعر معها بتصوير (قيم وتعاليم الإسلام من تقوى وورع وخوف من الله ومن الحساب ، منذراً

---

[*] سابق بن عبد الله البربري (١٣٢هـ) شاعر من شعراء الزهد في نهاية القرن الأول الهجري ، من اهل خراسان ، سكن الرقة ، وقد مكث فيها غير قليل من العمر ينشر وعضه ، وتلتف حوله الافئدة ، ويأخذ منه رجال صاروا من بعد أئمة في الفقه والزهادة ، اخذ عن مكحول ، وتلمذ له الاوزاعي ، ثم انتقل الى الشام ، وانخرط في مجالس عمر بن عبد العزيز ، ووعظه اكثر من مرة ، وارسل اليه قصيدة وعظ على هيئة رسالة ، والتف حول باب هشام بن معاوية ، وظل فترة ما على بابه ينشر وعظه ، فسابق في الشام له نفس مكانة الحسن البصري في البصرة . (شعر سابق بن عبد الله البربري : بدر ضيف ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية- مصر ، ٢٠٠٤ ، ص٧) .

الانسان للرجوع الى فطرته السليمة التي فطره الباري جل وعلا عليها ، فبُثت تلك التعاليم في اشعار العديد من الشعراء ضمن اغراضهم المتبناة في القرن الأول الهجري) **(بدر ضيف ، مصدر سابق ، ص٣٠)** .

ويذكر بعض الباحثين أنه في السنوات (٤٠-١١٠هـ) زاد عدد النسّاك والعباد والزهاد الذين انتشروا في البصرة والكوفة والمدينة ليحملوا مسؤولية إعادة النمط الذي رسمه الإسلام ، وهو العمل على تحقيق السعادة في الدارين ، وخلق الشخصية المتوازنة الصالحة للحياتين ، لتهيّبهم مما آلت اليه أمور المسلمين في ذلك الزمان من فتن وصراعات وابتلاءات حتى في ادق معتقداتهم وقيمهم المثلى وصلت الى حد الفرقة والانشقاق والتشرذم **(احمد راضي رواجية ، ٢٠٠١ ، ص٣٢)** ، فراب على قلوب هؤلاء المصلحين ممن تقنوا صنعة الشعر وآدابه وفنونه تلبية وازعهم ومرشدهم الديني المتمثل بالقرآن والسنة النبوية لتنطلق ملكاتهم مؤشرة منهجاً قويماً يحث على بث ونشر مقومات الصلاح الديني والاجتماعي والنفسي لإخوانهم الضالين ، لترسيخ واستدامة قيمها ومؤشراتها في نفوسهم ووجداناتهم ، وليس اصدق ممن دأبوا على إعادة احياء واستدامة تلك القيم من شاعرنا الناسك والزاهد (سابق البربري) ، (واذا كنا لا نحب ان نطلق الاحكام العامة قبل استعراض نقاطها لتكون نتيجة مباشرة ، فانه يصح لنا ان نقول ان شعر سابق اصدق شيء ينبئ عن قيمه الأخلاقية التي كان يتحلى بها ، فشعره صورة منه ، وقوله صورة من عمله .

فيقول (من الطويل)) **(بدر ضيف ، المصدر السابق ، ص٢٤)** :

فَإن كُنتَ قَدْ أبصَرتَ هذا ، فإنّمَا يُصَدّقُ قَولَ المَرءِ مَا هُوَ فاعِلُه

وبالفعل فقد حملت اشعار سابق البربري صورة واضحة عن قيمه الخلقية وعلمه وصلاحه ، ومثّلت فلسفته في الحياة قولاً وفعلاً ، اذ كانت صورة ناطقة بالزهد والعفاف فعكس مكنوناته الصادقة تلك ليبني للمسلمين مرجعاً قيمياً مستداماً يستجيبون به ومن خلاله لدعوة القرآن والسنة فينزعوا اغلال الدنيا الزائلة من اعناقهم .. فشِعره بان متوكأً على التشبث بمكارم الاخلاق الإسلامية عبر التنفير من تداعيات الوجود الطبيعي ، باعتباره محطة مؤقتة وواهية وزائلة ، وكلما ركن اليه الانسان وشدته نوازعه تجاهه اوهن دينه وقيمه ومعتقداته في قبالته ، فالتذكير بالموت والزوال هو من المسالك التي تخبت من حب الانسان واندفاعه تجاه الدنيا الغرورة **(احمد راضي رواجية ، مصدر سابق ، ص١٠٣)** .

فالخُلق الأمثل الذي أشار اليه الخطاب القرآني يكتمل حينما يتخلى العبد عن كينونته الواقعية ويتخذها معبراً لنيل مرضاة الخالق جل وعلا ، كما في قول العزيز العليم : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (البقرة / ٢٠٧) ، وعبر مسار النأي والعكوف عن مقامات ومحمولات العالم الموضوعي سيتمكن الكائن العاقل من الارتقاء والصعود في سلم القيم والاعتبارات الميتافيزيقية ليتجافى عن جميع المعايير والانماط المادية التي تعيق طريقه ، عليه سجل الشاعر في مضمون متونه المقفاة تصريحاً بتلك الاذكار ليحيل المتلقي المسلم الى التفكر والتمعن بأحوال واقعه المتحقق على الصعيدين العقلي والعاطفي ، فكل مايتبناه الفكر المنطقي هو ما بالضرورة مطابق للمنهج العقائدي من ناحية كونه يستند على وقائع استقرائية غير قابلة للنقد او التسويف او المماطلة ، في حين ينزاح الجانب النفسي والوجداني عن تلك الاستدلالات الواقعية سعياً لتحقيق مبدأ المنفعة واللذة الحسية بتبني الواقع المعاش مفهوماً بديلاً عن الحقائق العقلية والنقلية .

وفي هذا الصدد يقول الشاعر من البسيط **(بدر ضيف ، مصدر سابق ، ص٥٥)** :

وَالمَوتُ جِسرٌ لِمنْ يَمشِي عَلَى قَدَمٍ ... إلى الأمورِ التِي تُخشَى وَتُنتَظَـرُ
فَهُمْ يَمُرُونَ أفوَاجاً وَتَجمَعُهُـــــمْ ... دَارٌ إليها يَصِيرُ البَدوُ وَالحَضَـرُ
مَنْ كَانَ فِيْ مَعقَلٍ للحِرزِ أسلَمَـــهُ ... أو كَانَ فِي خَمَرٍ لَم يُنجِهِ خَمَـــرُ
حَتَى مَتَى أنَا فِي الدُنيَا أخُو كَلَـفٍ ... فِي الخَدِّ مِنِّى إلَى لَذَّاتِهَا صَعَـــرُ
لَوْ كَانَ يَسْهَرُ عَينِي ذِكْرُ آخِرَتِـي ... كَمَا يُؤرِقُنِي لِلعَاجِلِ السَهَـــــرُ
إذاً لَدَاوَيتُ قَلبَاً قَدْ أضـرَّ بِـــــهِ ... طُولُ السَّقَامِ وَوَهنُ العَظْمِ يَنجَبِـرُ
مَيَلبَثُ الشَيءُ أنْ يَبلَى إذا اختَلَفَت ... يَومَاً عَلَى نَقضِهِ الرَوَّحَأتُ وَالبِكْرُ
وَالمَرءِ يَصْعَدُ رَيعَانُ الشـبَابِ بِـهِ ... وَكُلُّ مُصعَدَةٍ يَوماً سَتَنحَـــــدِرُ
وَكُلُّ بَيتٍ خَرَابٌ بَعــدَ جِدَتِـــــهِ ... وَمِنْ وِرَاءِالشَّبَابِ المَوتُ وَالكِبَرُ
بَينَا يَرَى الغُصنَ فِـي أرُومَتِـــهِ ... رَيَانَ أضحَى حُطَامَاً جَوفُهُ نَخِـرُ
كَمْ مِنْ جَمِيعٍ أشَتَّ الدَهرُ شَملَهُمُ ... وَكُلُ شَيئٍ جَمِيعٍ سَوفَ يَنتَثِـــرُ

ولا يقتصر الخطاب التوجيهي والنقدي والتعليمي الذي يتبناه الشاعر كحلقة وعضية وارشادية تستنهض القيم الأخلاقية للآخر لاشاعة تلك المعطيات العقائدية وضمان استدامتها ضمن المجتمع المسلم ، بل حتى يشير احياناً الى نفسه بهذا الخطاب ، وكانه يقيم حواراً داخلياً ليصعّد من ميزانه القيمي الوجداني ، فلا يتردد في هذه الحال وهو المعروف بالزهد والتقوى والمسلك القويم في تعرية نفسه من هذه الصفات ليصبح محل لوم وعتاب على تفريطه بدينه من باب التذكير والوعيض ، فلا ملجأ ولا منجيء إلا العمل الصالح والتقوى واليقين ، ولا يمسكُ بحبلِ الكينونة والعدم إلا الباريء جل شأنه ، وليس بمانعِ الانسان من تأخير ساعة زواله عن عالمهِ ومحبيه ما أعدهُ لنفسه في دار الفناء من قصور وحصون ، وهذا ما عبر عنه الناظم في ارجوزته التي اكتضت بمعاني التسليم والانقياد لمشيئة الباري جل جلاله ، والتي تُظهر وبصورة جلية مقدار ما احتازه الناظم من معين وافر من القيم المتمثلة بالإيمان العميق واليقين المطلق ، والنزوع نحو القيم الروحية الخالدة ، دون القيم المادية الزائلة .

وذلك في قوله من الرجز **(احمد راضي رواجية ، مصدر سابق ، ص١٠٥)** :

يَانَفسُ كُلُّ قَابِرٍ وَمَقبُـــــــورُ
وَيَهلَكُ الزَائِرُ وَالمَـــــــزُورُ
وَيَقبِضُ العَارِيةَ المَصِـــــــرُ
لَيسَ عَلَى صَرفِ النَوَى عَمُورُ
كَم مِنْ غَنيّ مُكثرٍ فَقِيـــــــرِ
وَالصِدقُ بِرٌ وَالتُقَى نَظِيـــــرُ
وَالبِرُ مَعرُوفٌ بِهِ المَبـــرُورُ
وَذُو الهَوَى يَسُوقَهَ المَقـــدُورُ

ولعل الإشارة الى الفضائل والقيم الأخلاقية الحقة كانت هي الشغل الشاغل لاذكار ومنظومات الشاعر بغض النظر عن التصنيف والمعطى الذي تمثله تلك السنن المقومة للمنهج العقائدي ، فكل مفهوم من تلك المفاهيم هو في حد ذاته دليل

مستدام ينتفع به المتلقي المسلم في كل حين ، فالتقوى التي يعرض لها الناظم هنا هي في حد ذاتها متعالقة مع المثل الأعلى الذي يطمح اليه الشارع المسلم ، تبعاً للخطاب القرآني والسنة النبوية الشريفة اللذان وضعاها في مقابل المقام المحمود والمكانة الشريفة التي ينالها العبد الموسوم بها ، بعكس الخاسر الذي انتفت منه فجعل يتخبط في مجاهل الحياة ومجاهل كينونته دون علم ودون بصيرة .

كما في قوله من البسيط **(بدر ضيف ، مصدر سابق ، ص٤٧)** :

إنَّ التُقَى خَيرُ زَادٍ أنتَ حَامِلُــهُ وَالبِرُّ أفضَلُ شَيءٍ نَالَهُ بَشَــرُ
وَلَيسَذُو العِلمِ بِالتَقوَى كَجَاهِلِهَا وَلا البَصِيرُ كَأعمَى مَالَهُ بَصَرُ

وليس من الغريب ان يعرض الناظم ولأكثر من بنية نصية ويؤكد ويكرر على مقام التقوى ومدى ارتباطها الوثيق بالواعز الأخلاقي والقيمي الذي يحث ويلزم العبد المسلم على التقيد بالسير ضمن الخط القويم الذي رسمه له الشرع ، فالكائن العاقل بطبيعته عابث لايفقه ما يصنع ، همه الأوحد ، وشغله الشاغل هو حياته المادية التي هي المعيار الأوحد في نظره ، فيفني كينونته وهو يلهث وراء استحصال نعيمها الزائل وسعادتها الموهومة ، ضناً منه ان في ملكها نفع موصول لحياته الآخرة ، وزاد موفور ينتفع به يوم الحساب ، فلا هذا ولا ذاك سيصل الى ما بعد فناء كينونته وعدمها ، فمن تعلق بالمعايير المادية وانتهج مسارها في ذاتها وصورها على انها ميزان الربح والخسارة في العالم الابدي فقد خسرت تجارته ، أما من تعلق بالقيم والمبادئ والتعاليم الإسلامية السمحاء الحقة فهو حين ذاك يكون ممن ربحت تجارتهم ، فيتخذ الناظم ضمن مجزوئِهِ الحاضر أسلوب الخطاب القيمي المقنع ، والمؤثر بصورته المستدامة في نفوس المتلقين ، مستلهماً اشاراته الأدبية المقفاة من قوله جل وعلا : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة / ١٩٧) .

فيقول من البسيط **(احمد راضي رواجية ، مصدر سابق ، ص١٠٧)** :

إذا أنتَ لَمْ تَرحَل بِزَادٍ مِنَ التُقَى وَوَافَيتَ بَعدَ المَوتِ مَنْ قَدْ تَــزَوَدا
نَدِمتَ عَلَى ألا تَكُونَ شَركتَــهُ وَأرصَدَ تَقَبلَ المَوتِ مَا كَانَ أُرصِدَا

ولم يغب عن منظوم الشاعر قصدياته التعالقية مع آيِ الذكر الحكيم ، فلقد افاضت خطاباته المنظومة بأشكال التناص مع السياقات القرآنية سواءً كانت بصورة مباشرة بتبني ملفوظاته المقدسة بالنص وتظمينها للخطاب المقفى ، أو بصورة غير مباشرة كأن يتم المساس بها بالمعنى فحسب ، وفي كلتا الحالتين يلتمس الناظم من الخطاب الإلهي المقدس معراجاً يتوثب بمقارباته الوصول الى المكنونات النفسية للمتلقي المسلم ، والتأثير فيه ، بصيغة تستنطق النصوص المقدسة وتحايثها لخلق معاني وقيم مستدامة تبقى ملازمة للنفس الإنسانية الموحِدة طوال مسيرتها في عالم الشهود ، فالتناصات مع المعاني القرآنية الصريحة والمضمنة نجدها قد تحققت في كل بيت شعري من المجزوء الحاضر على حدة .

في قوله من البسيط **(بدر ضيف ، مصدر سابق ، ص٦٤)** :

والمَرءُ مَا عاشَ فِي الدُنيَا لَهُ أمَلٌ ... إذا إنقَضَى سَفَرٌ مِنهُ أتى سَفَـــــــرُ
لَهَا حَلاوَةُ عَيشٍ غَيرُ دَائِمَـــــةٍ ... وفِي العَواقِبِ مِنهَا المُرُّ والصَّبِـــرُ
---------- ----------
لاتَبطُرُوا وَاهجُرُوا الدُنيَا فَإنَّ لَهَا ... غِيَاً وَخِيمَاً وَكُفرُ النِعمَةِ البَطَـــــرُ
ثُمّ اقتَدُوا بِالأُلَى كَانُوا لَكُمْ غُـرَرَاً ... وَلَيسَ مِنْ أمَةٍ إلاّ لَهَا غُـــــــرَرُ
حَتَى تَكُونُوا عَلَى مِنهَاجِ أوَلِكُـــمْ ... وَتَصبِرُوا عَنْ هَوَى الدُنيَا كَمَا صَبَرُوا
مَالِي أرَى النَاسَ وَالدُنيَا مُوَلِيَـــةٌ ... وَكُلُّ حَبلٍ عَلَيهَا سَوفَ يَنبَتِـــــرُ
لا يَشعُرُونَ بِمَا فِي دِينِهِمْ نَقَصُوا ... جَهلاً وَإنْ نَقَصَتْ دُنيَاهُمُ شَعَـــرُوا

ففي البيت الأول حقق الشاعر تناص معنوي مع الآية القرآنية من قوله جل وعلا : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر/ ٣) .

وتوجه الشاعر في البيت الثاني ليحاكي بالمعنى العديد من الخطابات القرآنية التي نستدل منها على سرعة زوال النعم المؤقتة في عالم الشهود ، وهشاشة موقف الكائن المتعالق معه ، في مقابل مصيره الاخروي المحتوم والمتوافق مع طبيعة ميوله المادية ولذاته النهمة ، وهو بالتأكيد خطاب أخلاقي قيمي مستدام يتوافق مع نهج الكتاب المقدس في الترهيب والوعيد لامثال تلك الانحرافات النفسية والأخلاقية الضالة ، مثل قوله عز من قائل : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (هود/ ١٥-١٦) .

وفي البيت الثالث يستشهد الشاعر بالمفردة القرآنية (بطر) ليتابع خطابه التعليمي والوعظي لعامة المسلمين ، وهي إشارات أخلاقية مستدامة تحيل المتلقي الى التذكر والتفكر في آيات الله ومنهاجه التعليمي ، كما في قوله جل وعلا : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص/ ٥٨) .

ويتحول الناظم في البيتين الرابع والخامس للتذكير بمنهج أخلاقي مستدام آخر متمثلاً بالتذكير والتأسي بالنماذج والغرر المؤمنة التي سجلت ثباتها وصبرها على مبادئها الإسلامية والتمسك بحبل الله المتين والصبر على الابتلاءات والمحن ، حتى اتاهم اليقين ، كما في قوله جل وعلا : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة/ ١٥٥-١٥٧) .

ويعود الناظم في البيت السادس ليعيد توجيه مسار الكائن العاقل الذي دهمته الحياة الدنيا بزخرفها وبهرجتها ، فيستنطق ملكاته العقلية والمنطقية بالحقائق التي بثها الخطاب القرآني وفي أكثر من مناسبة يذكر فيها أصحاب البصائر بعدم الانقياد وراء الواقع المادي بحباله الهشة والبالية التي ما تفتأ تنقطع وتهوي بالمتمسك بها الى قعر الهلاك ، وفي مقابل ذلك توجب الضرورة وبالفطرة التعالق بحبل الله المتين وبتقواه وصراطه المستقيم ، فهم السبيل الأوحد للخلاص والانعتاق من كل اشكال الجزاء ، وليس اجلى من تلك المعاني والقيم الاصيلة لتكون مساراً قيمياً مستداماً سطره الشاعر لينهل منه

اللاحقون كما نهل منه السابقون ، ويقول جل وعلا في هذا الموضع : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران/ ١٠٣) .

وفي البيت السابع ايضاً يتوسم الناظم بالذات المسلمة ان يكون لها من مظاهر التمسك والحرص على مرجعها المحتوم، كما لها على واقعها المادي ، والتذكير هنا يستنطق نوازع العامة المتزاحمة والنهمة على عالم الشهود ، والمجافية لعالم الغيب، فكل همها هو الجمع والكسب المادي دون الروحي ، ولسان حال الشاعر هنا يحيل بمفرداته المنظومة الى مسارات تعليمية وارشادية لتكون معطى قيمي مستدام يذكر الغافلين ، وينبه الشاردين للرجوع الى الطريق القويم ، ومن آياته جل وعلا في هذا الموضع قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (لقمان/ ٣٣) .

وفي شاهد آخر يحتاز الناظم معطى إسلامي اصيل يجهر ويتفاخر بامتلاكه ، وهي القناعة التي دأب الشاعر ضمن منظومه المقفى على التذكير بمقامها الرفيع وضرورة التحلي بها ، كونها في المقابل ستحجم نوازع النفس التواقة الى ولوغ كل ما يقابلها من معطيات الوجود المعاش ، وتلك الالتفاتة المعنوية ستحيل بالنتيجة الى ما يقابلها من الوقائع المبنية على عللها الواضحة ، فكل ما يجمع ويكنز من مال سيترك للاحقين ، وكل ما يبنى ويعمر سيؤول الى الفناء والخراب ، فذلك ديدن الوجود المادي ، وهي أسس منطقية ومتلازمات كونية واجبة طالما ذكر بها الكتاب المقدس في محكم آياته الشريفة ، عليه فتلك العلل المذكورة والمعاشة ستقود الى نفس النتائج ، والمنهج الوعظي للشاعر يستتبع ويستشهد خطابات التذكير تلك ليدعم بها قيمه الاخلاقية المبثوثة في منظومه المقفى ، رغبة منه في تحويل تلك الاشارات والعلامات المنطقية الى سبل مستدامة ترتقي بالجانب العقلي والروحي للعبد المسلم الى مصافِ العارفين والمتعظين ، والآخذين من القول بأحسنه .

فقال في هذا المقام من البسيط **(احمد راضي رواجية ، مصدر سابق ، ص١٠٨-١٠٩)** :

النَفسُ تَكلَفُ بِالدُنيَا وَقَدْ عَلِمَـــتْ	**أنَّ السَلامَةَ مِنْهَا تَركُ مَا فِيهَا**
وَاللهِ مَا قَنَعَتْ نَفسِيْ بِمَا رُزِقَـــت	**مِنَ المَعِيشَةِ إلاّ سَوفَ يَكفِيهَا**
أموَالُنَا لِذَوِي المِيرَاثِ نَجمَعُهَـــا	**وَدُرُنَا لِخَرَابِ الدَهرِ نَبنِيهَـــا**
قِسْ بِالتَجَارُبِ أحدَاثَ الزَمَانِ كَمَا	**تَقِيسُ نَعلاً بِنَعلٍ حِينَ تَحذِيهَا**
وَاللهِ مَا غَيَرَت فِي الأرضِ نَاظِرَةٌ	**إلاّ وَمُرُّ اللَيَالِي سَوفَ يَفنِيهَا**

ومن البيانات الأخلاقية التي كان لها حضور مميز في قوافي الشاعر ، هو توجهه نحو التقريع بالكف عن الكلام واجتناب الحديث واللغو في غير موضعه ، فكل قول وكل إشارة لغوية منطوقة هما بمثابة تبني لرأي او نقل لآخر ، أو حتى طعن في غيره ، وكل تلك المواقف مبنية على أساسٍ واهٍ من الضن او عدم المعرفة اليقينية التي تدخل صاحبها في متاهات الغي والكذب والتطاول ، فالكلام او النطق بالعبارات والرموز لأغراض التداول انما مرجعه الى مستوى تفكير الانسان ومديات قدرته على استيعاب المواقف والسياقات الكلامية وتحليلها وتضمينها للتصورات والمفاهيم والايديولوجيات الذاتية ، وكل ذلك ترجع منابعه الى المستوى العلمي والمعرفي ، اللذان يؤسسان للإمكانيات الاستنتاجية والاستقرائية لذلك الفرد ، فيصار حينها الى تشكيل صياغات لغوية تبعاً لطاقات الفكر تلخص جملة الركائز المعرفية التي يحتازها المتكلم ، وليس الكلام وكثرته من العلم في شيء ، وليس العلم بفروعه وتشعباته بسهل المنال وبيسير الإحاطة على الكائن العاقل ،

حتى وان عقل بعضه فلا يغنيه ذلك من الجهل بأغلبه ، ويشير الامام علي (عليه السلام) الى تلك الإشكالية التي ينفرد بها الكائن لذاته حينما يقول : **{تَكلّموا تُعرَفُوا ، فإنَّ المَرء مخبوءٌ تَحتَ لِسانِه} (محمد صادق الخرسان ، ٢٠٠٦ ، ص١٥١)** ، فلا يعمد الانسان في كل مكان او مقام الى التفاخر والزهو ببعض الحيثيات المعرفية لذاته ، والتي لا يمكن مقاربتها بالمحيط المعرفي الواسع وصنوف تشعباته ، والشاهد الأعظم على تلك المحدودية المعرفية لبني الانسان هو تصريح الباري جل وعلا في خطابه لعباده ضمن كتابه الكريم وهو يطلعهم على ضآلة ما أحاطت به امكانياتهم المحدودة من العلم في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (الاسراء/ ٨٥) . فتلك الشهادة لا غنى عنها ليأخذ بفحواها الكائن العاقل ويفقهها ويرسم حروفها في تلافيف نفسه كي تكون حاضرة معه أينما حل ، وحصيلة تلك المعاني الفلسفية والفكرية العميقة اوجزها الناظم في ابيات عدة ، لتكون مرجعاً يستيقن منها الفرد المسلم طوال رحلته الوجودية ، فهي بالنتيجة معرفة ونموذج قيمي مستدامان ، لا يستغنى عنهما لتفردهما بالمعين الأخلاقي الذي رسمه واقره لنا الشرع المتمثل بكتاب الله وسنه رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) .

فقال من المجزوء الكامل **(بدر ضيف ، مصدر سابق ، ص١٣٥)** :

وَالصَمتُ أجمَلُ بِالفَتَـى	**مِنْ مَنطِقٍ فِي غَيرِ حِينِهِ**
لا خَيرَ فِي حَشوِ الكَلامِ	**إذَا اهتَدَيتَ إلى عُيُونِـــهِ**
كُلُّ امرِءٍ فِي نَفسِـــــهِ	**أعلَى وَأشرَف مِنْ خَدِينِهِ**
وَمِنَ الَذِي يَخفَى عَلَيكَ	**إذَا نَظَرتَ إلَى قَرِينِـــهِ**
وَعَلَى الفَتَى مِنْ خُلقِـــهِ	**سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى جَبِينِـــهِ**
رَبُّ امرِءٍ مُتَيَقِـــــنٍ	**غَلَبَ الشَقَاءُ عَلَى يَقِينِـهِ**
فَأزَالَهُ عَنْ دِينِـــــــهِ	**فابتَاعَ دُنيَاهُ بِدِينِـــــــهِ**

فالمغزى العقائدي الذي احاطه الناظم بمنظومه الفني ، انما جاء ليكون دلالة مستدامة وواضحة على قوله جل وعلا : ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ (ق/ ١٨) . ولسان حال الشاعر يقول لا يدفعنكَ أيها المسلم الغرو الى التلفظِ بما لا تعرف ، فرب كلمةٍ نطقتها عن جهل تذهب بخيركِ وتهوي بكَ الى سواءِ الجحيم .

واستكمالاً للمعنى القيمي السابق ، والذي أراد به الناظم النصح والإرشاد والتوجيه من اجل ضمان شيوع الاخلاق الحميدة واستدامتها ضمن المجتمع الإسلامي ، يثير في مجزوئه اللاحق جانب آخر من الابتلاءات التي قد تعترض الفرد المسلم ، وهو ما أشار اليه بعتاب الجاهل ، فوضع لهذا المقام سياق عمل لصاحب البصيرة في مثل هكذا موقف وهو ان يجانب الحلم والصبر والتقية ، فليس الجاهل او السفيه بالند المعتبر الذي يصار الى مقارعته او الدخول معه في سجال ، وكما قال الامام علي (عليه السلام) : **{يَنبَغِي لِلعاقِلِ أن يُخَاطِبَ الجَاهِلِ مُخَاطَبَةَ الطّبيبِ للمَرِيض} (محمد الريشهري ، ١٤٢٢هـ ، ص٢٧٢١)** ، فالرفق والاعتدال والتنزه والترفع عن إطالة الحديث ، والتحوط من الدخول في مناكفات ، هي من المسلمات التي يتخذها ذو البصيرة منهجاً لحفظ النفس .

فقال الشاعر من البسيط **(بدر ضيف ، مصدر سابق ، ص٥١)** :

لا تُظهِرَنَّ لِذِي جَهلٍ مُعَاتَبَـــةً	**فَرُبَّمَا هَيجّتَ بِالشَيءِ أشيَـــاءُ**
فَالمَاءُ يُخمِدُ حَرَّ النَارِ يُطفِؤهَا	**وَلَيسَ لِلجَهلِ غَيرَ الحِلمِ إطفَاءُ**
تَرَى السَفِيهَ لَهُ عَنْ كُلّ مَحلَمَةٍ	**زَيغٌ وَفِيهِ إلَى التَسفِيهِ إصغَاءُ**

ويقول الشاعر في موضعٍ آخر وهو يصرح وبصورة متقنة ومدروسة بجملة من مكارم الاخلاق التي يحث الفرد المسلم على التمسك بها لتكون له نهجاً ايمانياً وقيمياً سوياً يكسبه خير الدارين .

من المجزوء الكامل **(نفسه ، ص٥٨)** :

وَعَلَيكَ نَفسَكَ فارعِهَـــا ... واكْسِبْ لَهَا عَمَلاً جَمِيلا
وَمَن استَخَفَّ بِنَفسِـــــهِ ... زَرَعَتْ لَهُ قَالاً وَقِيـــلا
وَأقَلُّ مَا تَجِدُ اللَّئِيـــــــ ... يمَ عَلَيكَ إلاّ مُستَطِيـــلا
وَالمَرءُ إنْ عَرَفَ الجَمِيـ ... لَ وَجَدْتَهُ يَأتِي الجَمِيـلا
وَلَرُبَّمَا سُئِلَ البَخِيـــــــ ... لُ الشَيءَ لا يَسوَى فَتِيلا
فَيَقُولُ لا أجِدُ السَّبِيـــــ ... لَ إليهِ يَكرَهُ أنْ يُنِيـــلا
وَكَذَلِكَ لا جَعَلَ الإلَـــــ ... ـهُ لَهُ إلَى خَيرٍ سَبِيـــلا

الخاتمة :

من خلال النظرة العامة الى مجمل الصياغة النظرية لموضوعة البحث الحالي ومحاولة سبر اغوار المقتربات البيانية والبلاغية لمفهوم الاستدامة في القيم الاخلاقية ضمن النتاج الشعري للشاعر الإسلامي سابق البربري ، نستطيع ان نستشف جملة من النتائج المهمة التي استطعنا الوصول اليها والتي تمثل المعترك الدلالي الذي رافق ظهور هذا المنحى من الشعر ومدى ارتباطه بموضوعة استدامة القيم الاخلاقية وهي :

- ارتبط جانب القيم الأخلاقية ضمن المنظور البشري بالكائن العاقل ارتباطاً محايثاً حتى اضحى المفهوم الوجودي غير مكتمل بغياب احدهما ، ولا يخفى ما لدور العقيدة الإسلامية في ترسيخ وتعميق الأسس النظرية والسلوكية لتلك القيم ، فأسبغت عليها بنتاجها المتمثل بكتاب الله وسنة الرسول محمد (ﷺ) منظوراً مستداماً .
- تعالقت المقولات الشعرية الحاملة للمعاني والقيم الأخلاقية في شعر الناظم سابق البربري مع مبادئ العقيدة الإسلامية واطرها التوعوية والتعليمية لتزيد في تعميق وإرساء أسس الاستدامة عبر الزمان والمكان .
- شكلت الاحالات الشعرية ذات القيم الأخلاقية المثالية لنتاج الشاعر سابق البربري مظهراً توعوياً وتعليمياً وارشادياً محفزاً لوجدان المتلقي المسلم للتمسك بقيمه الاصيلة عبر تلك التجارب الشعرية التي أضحت منهلاً مستداماً للتذكير بتلك الأصول الأخلاقية ، ومرجعاً مهماً للحفاظ عليها والتذكير بها في كل حين .
- بينت مجمل الشواهد الشعرية للناظم سابق البربري التي انتهجت الاسلوب التواصلي البناء مع المتلقي المسلم ، ارتباطها الوثيق بالقرآن والسنة النبوية الشريفة ، وايضاً بالتراث الفقهي للأئمة الاطهار عليهم السلام ، عبر الاحالات اللغوية المباشرة بالشكل والمعنى ، او بصورتها غير المباشرة بارتباطها بالمعنى المراد ، لذا اضحى هناك لزام نفسي ووجداني من قبل المتلقي المسلم للتعاطي مع تلك التجارب الشعرية كونها فتحت سبلاً جديدة لاستدامة القيم الإسلامية الاصيلة والحفاظ عليها .
- كان لميزات ذلك النوع من الاسلوب الشعري للناظم سابق البربري الحامل للمثل الجمالية الاصيلة سبباً جوهرياً في ظهور تلك التجارب الشعرية الواعدة ، كون آليات ذلك التواصل هي الاكثر تأثيراً والاسرع وصولا الى البنية المفاهيمية

والوجدانية للآخر كما للمتلقي المسلم ، وهو ما حفز على ظهور وانتشار شواهد هذه التجربة الشعرية وعلى نطاق واسع

- حمل الشاعر سابق البربري جملة من الصفات الشخصية المميزة ، فقد كان معروفاً بالزهد والتقوى والورع والعلم والصلاح ، وقد نهج فلسفته المثالية في حياته عبر انغماسه وتشربه من منابع الدين الأصيل ، وما كانت تجاربه الشعرية إلا انعكاس لتلك الصفات الايمانية القويمة ، التي وجدت ضالتها في نفوس المتلقين .

قائمة المصادر :

١) **القرآن الكريم .**

٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : محمد مصطفى هدارة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٣) الامام علي (ع) : محمد صادق الخرسان ، ط٢ ، دار المرتضى ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

٤) التطور والتجديد في الشعر الاموي : شوقي ضيف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٥) التنمية المستديمة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها : عثمان محمد غنيم و ماجدة أبو زنط ، ط٢ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان– الأردن ، ٢٠١٤ .

٦) الشباب والقيم في عالم متغير : ماجد الزيود ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان– الأردن ، ٢٠٠٦ .

٧) شعر الزهد في العصر الاموي : احمد راضي رواجية ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠١ .

٨) شعر سابق بن عبد الله البربري : بدر ضيف ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية– مصر ، ٢٠٠٤ .

٩) فلسفات التربية التقليدية والحديثة والمعاصرة : محمد محمود الخوالدة ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الأردن ، ٢٠١٣ .

١٠) القيم الأخلاقية في القرآن الكريم : عبد القادر الشايط ، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، مج٥ ، ع٢ ، جامعة محمد الأول مجدة ، المغرب ، ٢٠٢١ .

١١) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال : المتقي الهندي ، ج١ ، ط٢ ، حديث ٥٢١٧ ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، ٢٠٠٥ .

١٢) المدخل الى علم الاجتماع العام : حمد طاهر مسعود ، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠١١ .

١٣) ميزان الحكمة : محمد الريشهري ، مج٧ ، دار الحديث ، قم– ايران ، ١٤٢٢هـ .

١٤) هذه اخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً : محمود محمد الخزندار ، ط٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض– المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٧ .

١٥) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي ، ج١٧ ، ط٢ ، مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث ، قم– ايران ، ١٤١٤هـ .